موقعة الزلاقة وأثرها في رسم خريطة سياسية جديدة ببلاد الأندلس على عهد المرابطين

الأستاذ عبد العزيز شاكي
جامعة المسيلة

تميز العهد العباسي بظهور عدة دول مشرقا ومغربا منفصلة عن السلطة المركزية في بغداد، منها من شكل طاقة نافعة للدفاع عن الإسلام، وقد كانت دولة المرابطين نموذجا حيا للدفاع عن راية الإسلام سيما في بلاد الأندلس التي عانت من بطش الممالك النصرانية، تلك الممالك التي كانت لها اليد الطولى على الأندلس جغرافية وشعبا، الأمر الذي جعل ملك المرابطين يوسف بن تاشفين يلبي نداء المستغيثين من أهل الأندلس، ويستميت في الذود عن حمى الإسلام هناك.

لما عزم المعتمد بن عباد الاستنجاد بالمرابطين اتصل بالمتوكل بن الأفطس[1] صاحب بطليوس، وعبد الله بن بلقين[2] الصنهاجي صاحب غرناطة، وطلب منهما أن يشكلا وفدا ليرسلوه إلى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين، وبهذا تشكلت البعثة الرسمية[3] الموفدة إلى أمير المرابطين، وحملت معها إليه رسالة مؤرخة في 479هـ/ 1086م، وهذا بعض ما جاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. إلى حضرة الإمام أمير المسلمين وناصر الدين، محيي دعوة الخليفة، الإمام أمير المسلمين، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين... إنا نحن العرب في هذه الأندلس، قد تلفت قبائلنا، وتفرق جمعنا وتغيرت أنسابنا بقطع المادة عنا من معيننا، فصرنا شعوبا لا قبائل، وأشتاتا لا قرابة ولا عشائر، فقل ناصرنا وكثر شامتنا، وتوالى علينا العدو المجرم اللعين اذفنش... وأخذ البلاد والقلاع والحصون، ونحن أهل هذه الأندلس ليس لأحد منا طاقة على نصرة جاره، ولا أخيه، ولو شاءوا لفعلوا، إلا أن الهوان منعهم من ذلك، وقد ساءت الأحوال وانقطعت الآمال، وأنت أيدك الله، ملك المغرب أبيضه وأسوده، وسيد حمير[4] وملكها الأكبر، وأميرها وزعيمها[5]، ونزعت بهمتي إليك واستنصرت بالله ثم بك، واستغثت بحرمكم، لتجوزوا لجهاد هذا العدو الكافر، وتحيوا شريعة الإسلام، وتذبوا عن دين محمد عليه الصلاة والسلام، ولكم بذلك

عند الله الثواب الكريم، والأجر الجسيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والسلام الكريم على حضرتكم السامية، ورحمة الله تعالى وبركاته»[6].

ومما زاد في عزيمة يوسف بن تاشفين إضافة إلى استنجاد أمراء الأندلس، الرسالة التي بعث بها أبو بكر بن الجد[7] إلى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين، وهذا بعض ما ورد فيها: «إلى الملك المؤيد بفضل الله أمير المسلمين، وناصر الدين، وزعيم المرابطين، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين نوّر الله به الآفاق، وجمع به الجيوش والرفاق... فإن الله سبحانه أيد دينه بالاتفاق والائتلاف، وحرم مسالك الشتات ودواعي الاختلاف... وقد وطد الله لك ملكا شكر الله عليه جهادك، وقيامك بحقه واجتهادك، ولك من نصر الله خير باعث... وعندك من جنود الله من يشتري الجنة بحياته، ويحضر الحرب بآلاته فإن شئت الدنيا فقطوف دانية وجنات عالية[8] وعين آنية[9]... هذه الجنة ادخرها الله لظلال سيوفكم، وإجمال معروفكم نستعين بالله وملائكته وبكم على الكافرين»[10]، كما قال الله تعالى: «قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ»[11]، والله يجمعنا على كلمة التوحيد ننصرها، ونعمة الإسلام نشكرها، ورحمة الله نتحدث بها وننشرها، والسلام الموصل الجزيل على أمير المسلمين، وناصر الدين، ورحمة الله وبركاته»[12].

أعلم يوسف حاشيته وأهل شورته بما وصل أليه الأمر في الأندلس وبما وصله من رسائل، وبعدها انفرد بأحد كتابه[13] من أهل المرية[14]، فقال له: إن الأمر لله تعالى ولكم، فقال له: ومع هذا فقل ما عندك، فقال عبد الرحمان: واجب على كل مسلم إغاثة أخيه المسلم، والانتصار له، وتعلمون أن الأندلس جزيرة مقطوعة في البحر، ثمن سكانها مسلمون، وسبعة أثمان نصارى، وهي سجن لمن دخلها إن أنت جزت إليها، وليس بينك وبين صاحبها[15] صداقة متصلة. ثم طلب عبد الرحمان من يوسف بن تاشفين أن يكتب إلى المعتمد بن عباد ويطلب منه أن يمنحه الجزيرة الخضراء[16]، ليتخذها قاعدة عسكرية، ومركزا للجند والزاد، فرد عليه يوسف: صدقت يا عبد الرحمان لقد نبهتني على شيء لم يخطر على بالي. ثم كتب يوسف بن تاشفين كتابا إلى المعتمد بن عباد[17]، وهذا بعض ما جاء في الرسالة: «إلى الأمير الأكرم المؤيد بنصر الله... المعتمد على الله أبي القاسم بن عباد، أدام الله كرامته بتقواه ووفقه لما يرضاه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فإنه

وصل خطابكم المكرم، فوقفنا على ما تضمنه من استدعائنا لنصرتك، وما ذكرته من كربتك، وما كان من قلة حماية جيرانك، فنحن يمين لشمالك، ومبادرون لنصرتك وحمايتك، وواجب علينا ذلك من الشرع، وكتاب الله تعالى، وإنا لا يمكننا الجواز إلا أن تسلم لنا الجزيرة الخضراء، تكون لنا، لكي يكون جوازنا إليك على أيدينا متى ما شئنا، إن شاء الله، فإن رأيت ذلك فاشهد به على نفسك، وابعث لنا بعقودها، ونحن في أثر خطابك إن شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[18].

بعد أن وصل هذا الخطاب إلى ابن عباد جمع فقهاءه وأهل مشورته، ووافق على ذلك، وبعدها وصل الخبر ليوسف، فأخذ يجمع جنوده، وعسكر في سبتة [19]، استعدادا للجواز إلى بلاد الأندلس لمساعدة المعتمد والمسلمين هناك[20]، وقد كان ذلك أول جواز ليوسف بن تاشفين وكان في شهر جمادي الأولى من سنة 479هـ/ 1086م[21].

توجه كل من الأمير يوسف بن تاشفين والمعتمد بن عباد[22] نحو الجزيرة الخضراء والتقيا هناك، ولما وصل الأمير يوسف بنا بها سورا منيعا، ورمم أبراجها، وحفر الخندق وزودها بالأطعمة والأسلحة[23]، ورتب فيها جنوده ووزعهم فيها[24]، ثم توجه نحو اشبيلية[25] بجيوشه ناويا جهاد العدو[26]، وكان ألفونسو محاصرا لأحد الحصون يعرف بحصن الليط، فلما سمع بجواز يوسف بن تاشفين وجيشه رجع إلى بلاده مستنفرا قواه.

توجه يوسف بن تاشفين إلى ذلك الحصن المحاصر[27]، وفي طريقه التقى بالملوك الأندلسيين؛ وهم عبد الله بن بلكين الصنهاجي، والمعتصم بن صمادح[28] صاحب المرية، وابن عبد العزيز صاحب بلنسية[29]، وبعد أن استعرض يوسف بن تاشفين عسكره ورأى منهم ما يسره، قال للمعتمد بن عباد: هلم بنا إلى الجهاد. وكان المعتمد قد جمع جيشا ضخما من أقطار الأندلس[30].

كان ألفونسو السادس قد استنفر قواه، ولم يدع في أقاصي مملكته من يقدر على النهوض إلا استنهضه[31]، وكان قد رأى رؤيا فسرها له أحد الفقهاء المسلمين اسمه محمد بن عيسى المغامي، ودلته هذه الرؤيا على أنه سيهزم، إلا أنه أعرض عنها وكأنه لم يرها[32]، وأخذ يحشد قواه ويتأهب للقاء المسلمين، واحتفل في الاستعداد، وخرج ومعه جيشه[33] لابسين الدروع حتى انتهى به الطريق إلى موقع

يسمى الزلاقة حيث عسكر هناك[34]، بينما تموقعت جيوش المسلمين[35] قرب بطليوس[36].

أرسل ألفونسو السادس كتابا إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، يقول فيه: «إن غدا يوم الجمعة ولا نحب مقاتلتكم فيه لأنه عيدكم، وبعده السبت عيد اليهود... وبعده الأحد عيدنا، فنحترم هذه الأعياد ويكون اللقاء يوم الاثنين»[37]، فقال يوسف اتركوا اللعين وما أحب[38]، والتقى الجمعان قرب موضع يسمى الزلاقة[39]، ولما كان يوم الجمعة تأهب المسلمون للصلاة فخرج يوسف وأصحابه في زينة الصلاة، أما المعتمد فبقي مستعدا للقتال، ولما رأى ألفونسو أن المسلمين قد ركعوا هاجمهم، إلا أن المعتمد كان له بالمرصاد، وسارع المرابطون إلى أخذ أسلحتهم، وقد أظهر يوسف وأصحابه من الصبر وحسن الثبات ما لم يكن يحسبه المعتمد بن عباد[40]، وهزم الله العدو، وأتبعهم المسلمون يقتلونهم في كل وجهة، ونجا ألفونسو السادس[41]، وجعل المسلمون من رؤوس القتلى الكفار أكواما كثيرة، فكانوا يؤذنون عليها إلى أن جيفت فأحرقوها[42]، وقد أصيب المعتمد بن عباد بجروح في وجهه[43].

رجع المعتمد إلى اشبيلية[44]، أما يوسف بن تاشفين فقد رجع ومعه أصحابه منصورين[45]، فسر بهم أهل الأندلس، وأظهروا التيمن بأمير المسلمين والتبرك به وكثرة الدعاء له في المساجد وعلى المنابر، وانتشر له من الثناء بجزيرة الأندلس[46]، وغنم المسلمون كثيرا، من مال وسلاح ودواب وغير ذلك[47].

لقد كانت وقعة الزلاقة نصرا مبينا للمسلمين في الأندلس وانعكست عليهم بالخير، ومن أهم نتائجها الطيبة تحرير سرقسطة[48] وحمايتها من الوقوع في أيدي القشتاليين، وإحداث تغيير مفاجئ في مجرى حركة الاسترداد التي بدأت بالفتور نظرا لقوة المسلمين بقيادة المرابطين، كما أدى هذا الانتصار إلى ظهور المرابطين في صورة المجاهدين الذين رفعوا راية الجهاد ضد النصارى[49]، زد على ذلك أن هذه المعركة قللت من شأن ملوك الطوائف في نظر رعيتهم، وبذلك مهدوا السبيل إلى إسقاط دويلات الطوائف.

ومن النتائج بالغة الأهمية أنه تم ضم الأندلس إلى دولة المرابطين[50] حيث تولى الأمير سير بن أبي بكر قيادة جيش المرابطين في الأندلس، وقد أغار المتوكل على الله بن الأفطس أمير بطليوس على أواسط البرتغال الحالية، كما زحف المعتمد بن

عباد على طليطلة واستولى على عدة مدن، منها: أقليش ووبدة، ثم اتجه ابن عباد إلى مرسية حيث اشتبك مع الكنبيطور، وبعد مدة بدأت قوى النصارى في التعافي من أثر الهزيمة النكراء التي تلقوها في الزلاقة[51].

وفي عام 481هـ/ 1088م عبر الأمير يوسف بن تاشفين[52] إلى الأندلس ثانية[53]، وشكل جيشا إسلاميا وهاجم حصن الليط، حيث وجد به قوة نصرانية مؤلفة من حوالي ألف فارس واثنا عشر ألف راجل، وحاصر المسلمون هذا الحصن حوالي أربعة أشهر، وبعدها قرر ألفونسو تدمير هذا الحصن لأنه لم يكن بالمكانة الإستراتيجية التي تستدعي تكبد العناء لأجله، واسترجع ابن عباد الحصن بعد أن تركه النصارى أطلالا[54].

بعدها رجع يوسف بن تاشفين إلى المغرب (مراكش) سنة 482هـ/ 1089م، وبدأ يفكر في ضم الأندلس، نظرا للانشقاقات التي بدأت تظهر بين ملوك الطوائف[55]، وفي عام 483هـ/ 1090م، عبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس للمرة الثالثة برسم الجهاد ولكن هذه المرة دونما استغاثة من ملوك الطوائف.

ضم يوسف بن تاشفين مملكة المعتمد بن عباد إلى دولة المرابطين[56]، وكان ذلك يوم الأحد 22 رجب 484هـ/ 13 سبتمبر 1091م[57]، وكان المرابطون قد ضموا قرطبة إلى مملكتهم في يوم الأربعاء 03 صفر 484هـ/ 26 مارس 1091م[58]، ونذكر أن ابن عباد قد قتل أبناؤه، وكبله المرابطون بالحديد، وأسروه، ونقلوه إلى المغرب[59].

وفي سنة 485هـ/ 1092م دانت شاطبة لحكم المرابطين ثم بلنسية، وفي سنة 486هـ/ 1093م فتح المرابطون مدينة أفراغ[60]، ثم دانت لهم الأندلس المدينة تلوى الأخرى والتي كانت بيد ملوك الطوائف[61]، وفي سنة 496هـ/ 1102م جاز الأمير يوسف بن تاشفين إلى الأندلس للمرة الرابعة والأخيرة[62]، وكان معه ولداه أبو طاهر تميم، وأبو الحسن علي[63]، وفي سنة ثمان وتسعين 498هـ/ 1100م مرض يوسف بن تاشفين إلى أن توفي سنة 500هـ/ 1106م[64]، وكانت بلاد الأندلس قد صارت تحت مظلة دولته[65].

الهوامش:

(1) كان حاكما شهيرا شدت الرحال إلى مدينته، كان عالي القدر، ومشهور الفضل، مثلا في الجلابة والسرور، وهو من أهل الرأي والبلاغة. ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1995، ج1، ص 364؛ ابن الأبار: المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1957، ص119، هامش (3)؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت، 1956، ص185.

(2) هو عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي أمير غرناطة، لقبه المظفر بالله وكذا الناصر لدين الله، تولى الحكم بعد جده الحاجب المظفر بالله في شوال سنة 465هـ/ 1072م، حاز على حظ وافر من البلاغة والمعرفة والشعر حسن الخط. ابن بلكين: مذكرات الأمير عبد الله المسماة كتاب التبيان، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، د.ت.، ص208، 209.

(3) تشكلت البعثة من القضاة: ابن أدهم قاضي قرطبة، وابن مقانا قاضي بطليوس، وابن القليعي قاضي غرناطة، وأضاف المعتمد إليهم وزيره أبا بكر بن زيدون.

(4) يعتقد المعتمد أن نسبه يرجع إلى المناذرة ملوك الحيرة والذين أصلهم من حمير أي من اليمن، وهي بلاد العرب الأولى، ومن المعروف أن الكثير من المؤرخين أرجع نسب الملثمين إلى حمير من اليمن كما ورد في نسب المرابطين، لذلك خاطب ابن عباد يوسف بهذه الصيغة .

(5) مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979، ص45-46.

(6) المصدر نفسه، ص46.

(7) يبدو أن المراد هو أبو القاسم بن الجد وزير المعتمد بن عباد، أما أبو بكر فهو شخصية أخرى تأخرت وفاتها بعد وفاة يوسف بن تاشفين، وهو الذي ملك الجزيرة الخضراء واستحوذ عليها بأمر من أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين. مجهول: الحلل الموشية، ص46، هامش (2)؛ ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم المرابطين)، تحقيق: إحسان عباس، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج4، ص121 وما بعدها.

(8) تتوافق مع قوله تعالى: «فِي جَنَّةٍ عَالِيَة قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ» سورة الحاقة، الآيتان: 22-23.

(9) الغريب في الأمر أن ما يتوافق مع قوله تعالى: «تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ» سورة الغاشية، الآية (5)، هو وعيد من الله لأهل النار، والمقام هنا هو مقام مدح لا مقام ذم، فلربما أراد كاتب الرسالة الاقتباس من قوله تعالى: «فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ» سورة الغاشية، الآية (12). والله اعلم .

(10) مجهول: الحلل الموشية، ص48؛ سعدون نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس -عهد يوسف بن تاشفين-، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص71.

(11) سورة التوبة، الآية (14).

(12) مجهول: الحلل الموشية، ص48؛ سعدون نصر الله: المرجع السابق، ص71.

(13) هو عبد الرحمان بن أسباط، المتوفى سنة 487هـ/ 1094م بسبتة. مجهول: الحلل الموشية، ص49، هامش (1).

(14) وتجدها في المصادر الأجنبية باسم (ALMIRIA)، وهي أشهر مدن الأندلس، بناها عبد الرحمان الناصر سنة 344هـ/ 955م، وتقع جنوب شرق الأندلس، اشتهرت بحصانتها، وأهميتها التجارية والصناعية. مجهول: الحلل الموشية، ص49، هامش (2)؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس -منتخبة من كتابه روض المعطار في خبر الأقطار-، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط2، دار الجيل، بيروت، 1988، ص183-184.

(15) المقصود به المعتمد بن عباد.

(16) وتعرف أيضا بجزيرة أم حكيم (جارية طارق بن زياد)، تقع على ربوة مشرفة على البحر، وهي مدينة حصينة ومنيعة، طيبة ورفيقة بأهلها، جامعة لفائدة البر والبحر، يحيط بها سور من الحجارة منيع، ولها ثلاثة أبواب، وبها دار صناعة داخل المدينة، وجنات وبساتين، يخترقها نهر يدعى نهر العسل. الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1957، ص 223-224.

(17) مجهول: الحلل الموشية، ص48 وما بعدها.

(18) المصدر نفسه، ص50.

(19) هي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب، وصفها الحموي بأن مرساها أجود مرسى على البحر، وهي على بر البربر تقابل بلاد الأندلس، على طريق الزقاق (مضيق جبل طارق)، وتعتبر سبتة من المدن المحصنة، تشبه في حصانتها مدينة المهدية بأفريقية (تونس)، بينها وبين فاس 10 أيام، وهي تقابل الجزيرة الخضراء. الحميري: الروض المعطار، ص303؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج3، ص183.

(20) مجهول: الحلل الموشية، ص50؛ عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص92.

(21) المصدر نفسه، ص93.

(22) يذكر صاحب الحلل الموشية وكذا الحميري أن المعتمد بن عباد أحضر معه الهدايا، واصطنع مظاهر الضيافة للأمير يوسف بن تاشفين، احتفاء بقدومه لنصرة المسلمين في الأندلس. مجهول: الحلل الموشية، ص51؛ الحميري: الروض المعطار، ص289.

(23) مجهول: الحلل الموشية، ص51؛ سعدون نصر الله: المرجع السابق، ص79؛ بطرس البستاني: معارك العرب في الأندلس، دار مارون عبود، بيروت، 1987، ص25.

(24) قدّر عبد الواحد المراكشي هذه القوة بنحو سبعة آلاف فارس. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص93.

(25) الحميري: الروض المعطار، ص289؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص93؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: علي بوملحم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ج23، ص267.

(26) يذكر عبد الواحد المراكشي صاحب المعجب أن المعتمد طلب من يوسف أن يتوجه إلى دار ملك ابن عباد (القصر الملكي) ليستريح أياما، لكن الأمير يوسف رفض، وقال إنما جئت ناويا جهاد العدو، وحيث ما كان العدو توجهت. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص93.

(27) نفسه.

(28) يذكر الأمير عبد الله بن بلكين في كتابه التبيان، أن الأمير ابن صمادح قد اعتذر عن الخروج للجهاد نظرا لكبر سنه، والحقيقة أنه أراد أن يراقب الأوضاع وهو خارج دائرة الصراع، لذلك اعتذر وأرسل ابنه. ابن بلكين: المصدر السابق، ص104؛ بينما كان التبرير مختلفا عند صاحب الحلل الموشية، فقد أكد أن عدم خروج ابن صمادح إنما هو بسبب مواجهة العدو الملاحق له في حصن الليط. مجهول: الحلل الموشية، ص52.

(29) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص93؛ مجهول: الحلل الموشية، ص52.

(30) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص94.

(31) نفسه.

(32) يذكر صاحب الحلل الموشية وابن الأثير أن ألفونسو السادس رأى في منامه كأنه راكب على فيل، وإلى جانبه طبل معلق وهو يضربه، فاستيقظ فزعا مذعورا، فلما أصبح بعث إلى أساقفة النصارى وأحبار اليهود ليستفتيهم في الرؤيا، فقالوا له تهزم المسلمين، وتغنم أموالهم،

وتسبي نساءهم، وتأخذ بلادهم، وترجع إلى وطنك عزيزا ظافرا، وأما الفيل الذي رأيت، فإنه ذلك الملك القادم لمحاربتك وستهزمه برغم أنفه. فقال لهم إن نفسي تحدثني بأن تفسيركم باطل، فنظر إلى بعض المسلمين الذين حضروا مجلسه، وكانوا من المسلمين المقيمين في مملكته، وقال لهم هل تدلوني على عالم مسلم يفسر الرؤى، فدلوه على محمد بن عيسى المغامي، فأرسل في طلبه مع بعض المسلمين فأبى هذا الفقيه الحضور إلى مجلس ألفونسو، وقال والله لا آتي كافرا أبدا، فرجع أولئك المسلمون واعتذروا للملك ألفونسو، وأحسنوا له الألفاظ حتى لا يؤذيه، وقالوا له إنه زاهد ومشغول بالعبادة فأخبرنا بالرؤيا، ونأتيك بتفسيرها، فأخبرهم، فذهبوا إلى الفقيه وأخبروه بها، فقال لهم قولوا له إنك ستهزم من قبل المسلمين هزيمة قبيحة، ودليل ذلك من القرآن الكريم، وتلا عليهم قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ{1} أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ{2} وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ{3} تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ{4}» سورة الفيل الآيات (1-4). ثم قال لهم أما الطبل الذي كان يضربه فمن قوله تعالى: «فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ{8} فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ{9} عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ{10}» سورة المدثر، الآيات (8-10). فرجعوا إلى ألفونسو، واعلموه بتأويل الرؤيا، فقطب وجهه، وقال ودين المسيح لأن كذب لأمثلن به، فبلغ الخبر الفقيه المغامي، فقال والله ما يقدر على ذرة إلا بإذن الله وقضائه. مجهول: الحلل الموشية، ص54-55؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ج8، ص446.

(33) قدّرهم صاحب الحلل الموشية بثمانين ألف فارس. مجهول: الحلل الموشية، ص56.

(34) نفسه.

(35) قدّر صاحب الحلل الموشية عدد جيوش المسلمين بخمسين ألف فارس، منها أربعة وعشرين ألفا من الفرسان الأندلسيين، ومثلها من المرابطين. نفسه؛ بينما قدرهم المراكشي صاحب المعجب بعشرين ألف فقط. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص94؛ وقدرهم ابن الأثير بخمسين ألفا. ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص447. وعلى كل حال فمهما اختلفت الروايات فإن عدد جيوش المسلمين أقل من عدد جيوش النصارى. يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة: محمد عبد الله عنان، ط2، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1996، ج1، ص85، هامش (1).

(36) مجهول: الحلل الموشية، ص57؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص136.

(37) مجهول: الحلل الموشية، ص57.

(38) مجهول: الحلل الموشية، ص57. ويذكر صاحب الحلل الموشية أن المعتمد بن عباد حذّر يوسف من غدر ألفونسو السادس، وقال له: لا أمان له ، لذلك أخذ المسلمون كل احتياطاتهم، ولم يطمئنوا لما قاله الفونسو بأن الحرب ستكون الاثنين.

(39) بطحاء من إقليم بطليوس من غرب الأندلس، فيها كانت الوقعة الشهيرة بين المسلمين بقيادة يوسف بن تاشفين وطاغية الروم ألفونسو السادس، وكان ذلك في العشرين من رجب سنة 479هـ/ 1086م، والسبب في ذلك فساد الصلح بين المعتمد بن عباد وألفونسو السادس. الحميري: الروض المعطار، ص288؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون؛ المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج6، ص248.

(40) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص95؛ مجهول: الحلل الموشية، ص59؛ عصمت عبد اللطيف دندش: "عودة ابن تاشفين للمغرب بعد الزلاقة"، مجلة دعوة الحق (الرباط)، ع262/ 1987، ص100.

(41) ذكر المراكشي صاحب المعجب أن ألفونسو نجا ومعه تسعة من أصحابه. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص95؛ بينما ذهب ابن الأثير إلى نحو ثلاثمائة فارس التي نجت مع ألفونسو السادس. ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص447؛

Robert et Marianne CORNEVIN: *Histoire de l'Afrique -des origines à la deuxième guerre mondiale-*, petite bibliothèque, Payot, Paris, s.d, p. 145; Don Rafael ALTAMIRA: *Histoire d'Espagne*, librairie armand colin, Paris, 1931, p. 66; Abd Allah LAROUI: *L'histoire du Maghreb un essai de synthèse*, librairie François maspero, Paris, 1970, p. 160.

(42) ابن الأثير: المصدر السابق، ج 8، ص447.

(43) أورد ابن بسام قصيدة طويلة حول انتصارات المرابطين. انظر ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1997، مج2، ص944.

(44) ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص447.

(45) يذكر يوسف أشباخ أن يوسف بن تاشفين كان يشجع أصحابه أثناء الحرب ويزيدهم عزيمة بقوله: «يا معشر المسلمين اصبروا، واصبروا دائما في هذا الجهاد المقدس، ولقد نقص الله عدد المشركين، وإن الجنة مثوى الشهداء، وإن إخوانكم الذين استشهدوا لينعمون بأعظم ضروب السعادة في جنات الخلد». يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص89.

(46) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص95؛ وقد ذكر ليفي بروفنسال أن هذا الانتصار الساحق للمسلمين على نصارى الأندلس وصل إلى حد جعل ملوك الطوائف يتبادلون التهاني، وفاضت قريحة الشعر لدى شعراء المديح. ليفي بروفنسال: حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.، ص25.

(47) ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص447.

(48) هي إحدى قواعد الأندلس الواقعة في الشرق، كبيرة المساحة، واسعة الشوارع، آهلة بالسكان، حسنة الديار والمساكن، متصلة بالجنات والبساتين، لها سور حصين من الحجارة. وهي على ضفة نهر كبير يأتي من بلاد الروم، وتسمى بالمدينة البيضاء. الحميري: الروض المعطار، ص317.

(49) السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ج2، ص726-727؛ وعن حركة الاسترداد المسيحي انظر:

Philippe CONRAD: *histoire de la roconquista*, 2 édition, presses universitaires de France, Paris, 1999.

(50) حمدي عبد المنعم محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997، ص60؛ عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ج2، ص727.

(51) حمدي عبد المنعم محمد حسين: المرجع السابق، ص60.

(52) للاستزادة عن هذا العبور، انظر مجهول: الحلل الموشية، ص66 وما بعدها؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص152.

(53) مجهول: الحلل الموشية، ص66؛ السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ج2، ص729؛ سعدون نصر الله: المرجع السابق، ص106.

(54) سعدون نصر الله: المرجع السابق، ص109.

(55) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص96 وما بعدها.

(56) ابن بلكين: المصدر السابق، ص169؛ ابن الأبار: أعتاب الكتاب، تحقيق: صالح الأشتر، ط1، منشورات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1961، ص223.

(57) ابن بلكين: المصدر السابق، ص169.

(58) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص154.

(59) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص98.

(60) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص156.

(61) يصف ابن أبي زرع صاحب روض القرطاس هذا الفتح في الصفحة 156 بقوله: «ولم يزل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين يبعث جيوشه وقواه إليه (الأندلس) برسم الجهاد للروم، وخلع أمرائها المتغلبين عليها، حتى ملك جميع بلاد الأندلس، واستوثق له أمرها». المصدر نفسه، ص156.

(62) مجهول: الحلل الموشية، ص77 وما بعدها.

(63) المصدر نفسه، ص77.

(64) السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1994، ج2، ص52؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص156؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص99؛ يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص119.

(65) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص156.